أهمية اللغة وتأثيرها على العملية التعليمية:
تطوير المهارات اللغوية كأساس للنجاح الأكاديمي

The Significance of Language and Its Influence on the Educational Process:
The cultivation of linguistic proficiency serves as a fundamental pillar for achieving academic excellence

By

Dr. Mohd Zulfeqar Mohiuddin Siddiqui

(Chairperson Board of Studies in Arabic Oriental Osmania University & Associate Professor of Arabic Oriental Urdu College Himayat Nagar Hyderabad)

ملخص البحث:

إن اللغة -العربية كانت أو غيرها- لها أربع مهارات، يطلق عليها "المهارات اللغوية"، وهي: الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة. وهذه المهارات صارت من ضرورات الثقافة بصفة عامة ومن لوازم العملية التعليمية بصفة خاصة. ومما لا ريب فيه أن المعلم يتمكن من تبليغ علومه إلى الآخرين بقدر تمكنه من المهارات اللغوية. فيتمحور هذا المقال حول المهارات اللغوية ويتمركز في مدى تأثيرها على العملية التعليمية التي يتوقف نجاحها على المهارات اللغوية.

الكلمات المفتاحية: العملية التعليمية، المهارات اللغوية، النجاح الأكاديمي

مقدمة:

إن اللغة وحدة كثيرة الفروع وعديدة الجوانب، ومن يتعلم لغة يهدف إلى أن يستخدمها استخداما صحيحا، فيستمع إلى من يتكلم بها استماعا صحيحا، ويتكلم مع الآخرين تكلما صحيحا، ويقرأ ما هو مكتوب بها قراءة صحيحة، ويكتب ما يريد أن يعبر عنه بها كتابة صحيحة، فهدفه يتمثل في صحة كل من الاستماع والكلام والقراءة والكتابة. فهذه المهارات مما يهدف إليه متعلم أي لغة، فما بال معلم اللغة ومدرسها ومدرب الطلاب عليها. فالمهارات اللغوية تحظى بأهمية بالغة في العملية التعلمية.

تعريف المهارة:

قبل أن آخذ في صلب الموضوع أرى من المناسب أن أذكر تعريف المهارة لغة واصطلاحا.

المهارة لغة:

يقول ابن منظور في مادة م.ه.ر:

" والمهارة: الحذق في الشيء. والماهر: الحاذق بكل عمل، وأكثر ما يوصف به السابح المجيد، والجمع مهرة؛ قال الأعشى يذكر فيه تفضيل عامر على علقمة ابن علاثة:

إن الذي فيه تماريتما بين للسامع والناظر
ما جعل الجد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر
مثل الفراتي، إذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر

..... ويقال: مهرت بهذا الأمر أمهر به مهارة أي صرت به حاذقا. قال ابن سيده: وقد مهر الشيء وفيه وبه يمهر مهرا ومهورا ومهارة ومهارة".[1]

المهارة اصطلاحا:

المهارة في المصطلح عبارة عن الأداء المتقن القائم على الفهم والاقتصاد في الوقت والجهد المبذول، وهي كذلك نشاط عضوي إرادي مرتبط باليد أو اللسان أو العين أو الأذن.[1] ومن تعريفات المهارة في المصطلح ما كتبه الخويسكي؛ فيقول: "إن المهارة اللغوية هي أداء لغوي يتسم بالدقة والكفاءة، فضلا عن السرعة والفهم".[2]

وبما أن عملية التعليم وسيلة لنقل العلوم وتوصيل المعارف، وذريعة لتربية النشء وتثقيفهم، وكما أن كلا من نقل العلوم وتوصيل المعارف وتربية النشء وتثقيفهم يحتاج إلى المهارات اللغوية في مجال تعليم اللغة، فهي أساس لنجاح العملية التعليمية، فهذا يعني أن معلم اللغة يجب عليه أن يتضلع من اللغة التي هو معلمها وأن يتقنها إتقانا كاملا ويستخدمها استخداما صحيحا.[1]

ومما يجب على معلم اللغة ملاحظته أن تعليم المهارة اللغوية قائم على أسس يتوقف تعليم المهارة عليها، ومن تلك الأسس أن يراعي المعلم ما فيه المتعلم من مرحلة ومدى ما لديه من درجة النمو العقلي والبدني. لكي لا يكلفه بتعلم ما لا يناسب مستواه. ومنها أن يراعي رغبة المتعلم، فلا يكرهه على تعلم مهارة لا يرغب فيها. ومنها أن يراعي ما لكل مهارة لغوية من خواصها؛ لكي يستخدم الطريقة التي هي أكثر تأثيرا في تعليم المهارات اللغوية.

أقسام المهارات اللغوية:

لها أربعة أقسام، وهي فيما يلي:

1. **مهارة الاستماع:**

هناك ثلث كلمات لا بد أن نعرف الفرق بينها، وهي: السماع، والاستماع، والإنصات. أما السماع فهو مجرد وصول الصوت إلى الأذن، أما الإنصات فهو ما يسمعه الأنسان بتركيز انتباهه على الكلمات والأصوات لكي يصل إلى هدف منشود. أما الاستماع فهو أعلى من

الإنصات، فلا يكفي فيه تركيز الانتباه على الكلمات وإدراك معنى المسموع، بل يلزم مع ذلك أن يكون هناك توافق تام وتواصل كامل بين كل من يتكلم ومن يستمع.[3]

وهناك شروط لا بد من مراعاتها لجعل عملية الاستماع مؤثرة.[1] منها أن تكون مخارج الأصوات واضحة، وأن يكون صوت المتكلم عاليا بقدر أن يصل إلى أذن المستمع واضحا، وأصوات الحروف تطابق ما يتعارف عليه أهل اللغة. ومنها أن يطلب المستمع من المتكلم إعادة ما قال إذا لم يسمع صوته جيدا، أو يطلب منه أن يرفع صوته إذا كان خافتا، ومنها أن تكون لديه قدرة على ربط ما يستمع إليه بمعلوماته السابقة، وعلي الوصول إلى نتيجة كلامه.

ومن أهم الخطوات المساعدة على الاستماع الجيد ما أشار إليه الدكتور عبد الله علي مصطفى قائلا:

"... أن أهم الخطوات العامة التي تساعد المتعلم على أن يكون مستمعا جيدا هي: التحضير للاستماع، كأن يراجع كل ما يعرف عن الموضوع، تدوين الملاحظات أثناء الاستماع، مراجعة الملاحظات لاحقا، وأخيرا استخراج الأفكار الرئيسية".[4]

أما تطبيقات مهارة الاستماع فهي كثيرة، منها تكليف الطلاب بالاستماع إلى أشرطة مسجلة أو فيديوهات يتم تشغيلها على الشاشة أمام الطلاب، ولا بد أن تكون قصيرة، حيث لا تزيد على ثلاث دقائق، ومن الأفضل أن يكلفوا بالاستماع إلى القرآن أو نشيد فصيح أو قصة من قصص الأنبياء أو أبطال الإسلام وأوليائه، أو قصة خيالية تؤدي رسالة جميلة.[1]

2. مهارة الكلام:

والمهارة الثانية من المهارات اللغوية الأربعة هي مهارة الكلام أو مهارة التحدث. والكلام عمل يعبر الإنسان بواسطته عما يجول في خاطره من أفكاره ومشاعره وما إلى ذلك. والكلام يحظى بمنزلة خاصة متميزة بين ما يتعلق باللغة من فروعها وجوانبها، فإن الكلام هو الغاية من وضع اللغة، ويستخدم أكثر من الكتابة والقراءة، أما الاستماع فهو أكثر استخداما من الكلام إلا أن الكلام يفوقه بأن الاستماع المفهوم يحتاج تماما إلى الكلام. فعلى هذا يعد الكلام أهم جزء من أجزاء اللغة.[5]

ومهارة الكلام قد نالت من اهتمام المعلم والمتعلم في عملية تعليم اللغة ما لم تنله أي مهارة غيرها، فهناك حصة خاصة لتدريب الطلاب على الحوار والتعبير الشفوي أو المحادثة والتكلم، والمقرر الدراسي الذي لا يعرف حصة التعبير والحوار مقرر لا يمكن الطلاب من إتقان اللغة. ومما يجدر بالذكر أن تدريب الطلاب على الكلام وتمكينهم من إتقان مهارة الكلام بحاجة إلى تزويد الطلاب بكم هائل من المفردات، وتعليمهم القواعد التي تساعد في تكوين الجمل.

أما مهارات التحدث فكثيرة، منها: تحديد جوانب الموضوع، والتمكن من عرض الفكرة وتكوين الجمل، والقدرة على مخاطبة الناس والمشاركة في حوار، ومنها أن يتمكن المتكلم أو المتحدث من إقامة الأدلة وعرض الأمثلة، واستنباط النتائج، وإدراك الأخطاء، وما إلى ذلك.

فيجب على معلم اللغة أن يدرب تلاميذه على المحادثة في مواقف الحياة المتنوعة، وأن يدربهم على المحادثة والمناقشة وحكاية القصص والخطب وما إلى ذلك. وأن يعودهم على استخدام اللغة الفصيحة، وأن يلزمهم أن لا يتكلموا إلا باللغة العربية الفصيحة. ومن التدريبات على الكلام أن يطلب المعلم من التلاميذ أن يقصوا قصة مجيئهم إلى المدرسة، أو يلخصوا الدرس شفهيا، أو يكونوا جملا على بلدة أو شيء ما، أو يبينوا ماذا يفعلون من الصباح إلى المساء، أو ما إلى ذلك.

3. مهارة القراءة:

القراءة مهارة ثالثة من المهارات اللغوية، وهي عملية تشغل ذهن القارئ بالتأمل والتفكير فيما تمر به عينه على ما هو مكتوب. وربما يقوم القارئ بتحليل ما يقرؤه وتعليله، ويحاول حل المشكلات. فالقراءة عملية عقلية تأملية، وتوجد باستخدام حاسة البصر، وتتطلب الفهم والربط والاستنتاج. وإن للقراءة أهمية كبيرة؛ فإنها تمكن القارئ من توليد المعاني وإنتاج الأفكار وتنشيط الذهن، وتزويده بالثقافة.

مراحل تعليم القراءة: مما ينبغي أن يعرفه متعلم المهارات اللغوية أن القراءة قد مرت بخمس مراحل، كما قال الدكتور الخويسكي، وهي فيما يلي:

1. معرفتها باعتبارها حروفا وكلمات ينطق بها.
2. التعرف على الرموز ونطقها.
3. النطق والفهم والنقد والتحليل.
4. النطق والفهم والتفاعل والاختيار.
5. وسيلة استمتاع وتسلية.[1]

أنواع القراءة:

القراءة تنقسم إلى القراءة الصامتة والقراءة الجهرية. أما القراءة الصامتة فهي تتمثل في تمرير العين على ما هو مكتوب دون إخراج الصوت، ومن خصائص القراءة الصامتة أنها تعود القارئ على تركيز الانتباه، وتطور قدرة ملاحظته، كما أنها تحفظ القارئ عن الخجل إذا كان من الذين لا يحسنون القراءة.[6] وأما القراءة الجهرية فهي تتمثل في نطق الكلمات المكتوبة. ومن خصائصها أنها تتقن النطق، وتحسن أداء الكلمات ومخارج الحروف، وتمكن الدارس القارئ على ضبط صحيح للكلمات وإعرابها، وتدربه على إجادة التنغيم الصوتي، ومن خصائصها أيضا أنها تعود القارئ على مواجهة الناس، وتزيد الثقة بالنفس، كما أنها تساعد على التمكن من الحديث والمناقشة والمحاورة وما إلى ذلك.

4. مهارة الكتابة:

إن الكتابة مهارة رابعة من المهارات اللغوية، وهي مهمة جدا، فإن الكتابة هي تحفظ العلوم في بطون الكتب، ولولا الكتابة لضاعت العلوم ولما انتقلت إلى الأجيال القادمة. ومن الجدير بالذكر أن لا بد من الاعتناء بثلثة أمور في عملية تعليم الكتابة، ذكرها علي أحمد

مذكور، الأمر الأول منها أن تكون الكتابة ذات أهمية ومناسبة لما يقتضيه الحال، وهذا ما يطلق عليه "التعبير التحريري"، والأمر الثاني منها أن تكون الكتابة خالية من أخطاء الهجاء وعلامات الترقيم والمشكلات الكتابية الأخرى، والأمر الثالث منها أن تكون الكتابة واضحة جميلة.[1]

مراحل تعليم الكتابة: إن لتعليم الكتابة مراحل عديدة، منها مرحلتان مهمتان، وهما:

المرحلة الأولى: وهي المرحلة التي يمر بها المتعلم قبل الالتحاق بالمدرسة، وهي في الحقيقة مرحلة التهيئة والاستعداد للكتابة. وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل الكتابة برسم الخطوط عشوائيا، وإلى نهاية هذه المرحلة يقدر الطفل على أن يرسم الحروف.

المرحلة الثانية: تبدأ هذه المرحلة بعد التحاق المتعلم بالمدرسة. وفي هذه المرحلة يكون المدرس مهتما بتمكين المتعلم من كتابة الحروف ثم الكلمات ثم الجمل ثم الفقرة في خطوات متتالية مناسبة لمستوى المتعلم.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إن المهارات اللغوية مما يحتاج إليه كل مثقف عامة وكل معلم اللغة خاصة، وإن المهارات اللغوية أربع، وهي الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة. ولكل منها أهمية بالغة، وخصائص وميزات. ولا بد للمعلم من إتقانها لكي تتحسن عملية التعليم وتتطور.

الهوامش:

[1] محمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ): لسان العرب. ط: الثالثة - 1414 هـ، بيروت: دار صادر. ج 5، ص 185. وانظر: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ): القاموس. ط: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. ص 487

[2] زين كامل الخويسكي، المهارات اللغوية الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة وعوامل تنمية المهارات اللغوية عند العرب وغيرهم، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2008م، ص 13

[3] علي أحمد مدكور: تدريس فنون اللغة العربية، النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 2008، ص 76. وانظر: محسن علي عطية، مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 2008م، ص 217-218

[4] عبد الله علي مصطفى: مهارات اللغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 1، عمان، 2002م، ص 85

[5] انظر: علي أحمد مدكور: تدريس فنون اللغة العربية، النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 2008، ص 74

[6] انظر: فراس السليتي، فنون اللغة، ص 90